بسم الله الرحمن الرحيم

٢٧/ ١١/ ١٤٣٠هـ

صاحب الفضيلة الدكتور محمد بن سليمان العثيم

زاده الله من التقى والنعيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصلتني هديتكم إلى منزلي صبيحة يوم الأحد ٢٧/ ١١/ ١٤٣٠هـ شكر الله مسعاك، فقد أعربت بفصيح اللسان وساطع التبيان عن شيخنا العلامة تاج قضاة العصر الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، قرأته مبتهجاً بتلك السيرة الحميدة والأفعال الرشيدة من العالم النحرير والبدر المنير، ولكم الشكر والتقدير على هذا الجهد المبارك.

وقد كتبت فيما كتبت عن سماحة شيخنا الشيخ عبد الله بن حميد (أعلام وعلماء عايشتهم) وكتابي (مرآة الزمان) وكتابي (ستون عاماً في سبع وخمسين دولة) ذكرت مقتطفات من حياته رحمه الله، ومع أن ملازمتي له في بريدة ثلاث سنوات لكنني أُغْشَ مجلسه في الرياض كثيراً وأحضر دروسه من غير انتظام، وكان رحمه الله ممن يقدر تلامذته ومحبيه فما جئت إليه للسلام إلا ويقف مستقيماً إلا أنني أحياناً أفاجئه بالسلام قبل أن يريد الوقوف بتقبيل رأسه.

وفي ذاكرتي بعض الشيء عن سماحته رحمه الله، أذكر لك بعضها:

١ ـ جاءه رجل يشتكي جاره لأنه يؤذيه بفتح الأغاني على أم كلثوم، فقال الشيخ: هل تعرف أم كلثوم؟ فقال أسمع بها، فقال رحمه الله: (المربوط أخبث من المنطلق) وهذا مثل يقال في الحمر فلم يسمع لدعواه.

٢ ـ ادعى أحد طلبة العلم وخصمه عند الشيخ عبد الله، فكأن الحكم توجه عليه، فقال للشيخ: أحسن الله إليك ذكر في كتاب المغني كذا وكذا فأسكته الشيخ ومد له يده رافعاً ذراعه، وقال: هل تعرف كوعك من كرسوعك؛ إشارة إلى جهله بما في كتاب المغني.

٣ ـ ذات يـــوم وهو جالس بـــين متكئين جوار الوجار (محل إيقاد النار) وبالجانب الثاني الرجل المدعو القحاطي، وأظن اســـمه محمد بن عبد الله التويجري من أهل الطرفية، وهو ذو مظهر لكثافة اللحية وكبر الجسم فدخل أعرابي وقبل رأس التويجري، وقال: يا شـــيخ أنا جئت من البادية أطلب تعبيـــر رؤياي فقـــد رأيت أنني قتلت ولدي. فقـــال التويجري هل أدخلت ابنك مدرسة قال: لا، فقال: غربلك الله ذبحته بالجهل أذهب فأحيي ابنك وأدخله المدرســـة، فانصرف البدوي من غير أن يعرف الشـــيخ عبد الله بن حميد، فاعتذر التويجري للشـــيخ عن الإجابة لهذا البدوي فقال الشـــيخ: جزاك الله خيراً لو سألني ما أجبته.

٤ ـ قال الشـــيخ كنا في ســـفر إلى مكة ونزلنا في البريـــة فجاء أعرابي وسألته عما عنده، وقال الأعرابي: البطل ابن البطل جمال عبد الناصر. قال الشـــيخ: فقلت هل تعرف جمال عبد الناصر فقال: نعم عرفني به الراديو. قال الشيخ ذلك تعجباً من تأثير الإعلام في عوام الناس بادية وحاضرة.

٥ ـ كان فيما كان دكاكين مرتفعة في شارع الخبيب، وقد عمل أصحابها مدرجاً يمتد من الدكان إلى أسفل قرابة أربعة أمتار خشية دخول السيل على دكاكينهم، فادعت البلدية أن هذا داخل حدود الشـــارع العام، فأمر الشيخ بهدم جميع المدرجات حفاظاً على المصلحة العامة ولأصحاب الدكاكين أن يتصرفوا في صيانة دكاكينهم عن السيول دون التعدي على الشارع العام.

٦ ـ ســـأل الشـــيخ عبد الله أحد الطلبة عن قسم التركة فيمن توفي عن زوج وزوجة، فتحير الطالب ولم يجب. وقال الشـــيخ مداعباً: ماتوا عن وليدهم وعرف الشـــيخ أن الطالب أدرك أن لا تكون مســـألة فرضية بهذه الصورة.

٧ ـ كان الشيخ يطرح الأسئلة على من يجب من باب المداعبة والملاطفة، فإذا ما أعجبه الجواب غطى وجهه بالمروحة من الخوص، ثم ضحك تعجباً من الإجابة.

٨ ـ كان رحمه الله غالباً ما تكون جلسته القرمضاء مطأطئ الرأس، بالأخص عند التفكير وإعمال الرأي.

٩ ـ بلغني أنه دعاه القفاري إلى منزله للقهوة والشيخ يرغب أن يتقدم له بخطبة الزواج، فبعد أن جلس الشيخ عبد الله قال الشيخ للقفاري ما تخاف الله في هذا البنات وتزوجونهم، فأدرك القفاري ما يريده الشيخ فقال: هل جاء كفء مثلك فرددناه فقال: جئتك. فقال القفاري: مرحباً بك وتم الزواج والحمد لله.

١٠ ـ حصل أن جنى أحد أخويا القصر فحاول المرية (القافة) أن يخفوا جريمة الجاني، فاستدعاهم الشيخ، وقال: كم قطعنا من أيدي سارق وعزرنا الكثير بناء على دلالتكم على الجاني، وأنتم إن لم تدلوني على أثر الجاني فستكونون أنتم محله، ولكم أسبوع مهلة وبعد يومين عرف القافة الجاني ودلوا عليه، وتم الحكم عليه.

أقول: إن للشيخ رحمه الله شخصية لدى الخصوم لا يطمع في رأفته ولا يخاف من شدته، ولكن صاحب الحق بين وواضح، والباطل كذلك لفراسة الشيخ وتمكنه من معرفة الأحوال الاجتماعية (وللطباع والطبائع) الخلقية عند الناس.

كان رحمه الله ربما بحث مع الأساتذة المصريين في علم الاجتماع وعلم النفس، ولعله استنتج من هذين الفنين ما يقع عنده من خصومات ودعاوى تكون محل تطبيق في إدارة الحكم وتحديد جريمة الجاني، وهما علمان مهمان (أعني علم الاجتماع وعلم النفس) في معرفة كوامن الطبيعة البشرية والظواهر الاجتماعية، وأظن الشيخ على علم بذلك.

شاكراً لكم إهداءكم وأرجو أن تلتمسوا لي عذراً فيما كتبته لكم، وأتمنى أن نراكم على أحسن حال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

إسماعيل بن سعد بن عتيق